رأي القدس

اسرائيل وعقدة الاجتياح البري

■ ليس هناك خلاف على ان اسرائيل تعتبر القوة الاقليمية العظمى في المنطقة العربية، ولا يجادل احد حول قدرة جيشها وامكانياته العسكرية الضخمة، براً وبحراً وجواً، ولكن لكل قوة عسكرية، مهما تضخمت، محدوديتها ونقاط ضعفها.

الولايات المتحدة الامريكية، وباتفاق معظم المؤرخين المتخصصين في شؤون الامبراطوريات، تعتبر اعظم قوة عظمى في التاريخ، واستطاعت ان تزيح الامبراطورية الرومانية من هذا المركز بكل ثقة، ومع ذلك فشلت في حسم الحرب في العراق لمصلحتها.

صحيح انها هزمت الجيش العراقي ودخلت بغداد بعد ثلاثة اسابيع، ولكنها فشلت في فرض السيطرة، واعادة بناء مؤسسات الدولة، وتوفير الامن والاستقرار لمن يخضعون لاحتلالها. وكل التقارير تشير الى انها تبحث حالياً عن ذريعة للهروب من بغداد، مثلما هربت مهزومة من فيتنام.

القيادة العسكرية الاسرائيلية تستخدم قدراتها الجوية التدميرية في لبنان، وترسل طائراتها لتدمير البنى التحتية اللبنانية من مطارات وجسور ومحطات كهرباء، تماماً مثلما فعلت نظيرتها الامريكية في حربي العراق الاولى والثانية، ومن الثابت ان القوة الجوية وحدها لا يمكن ان تحسم الحرب نهائياً لصالح اصحابها، ولا بد من انزال ارضي.

الامريكيون قصفوا القوات العراقية في الكويت واهدافا عسكرية ومدنية اخرى في العراق لأكثر من اربعين يوماً عام 1991، وبعدها زحفت دباباتهم الى الكويت وتوغلت داخل الاراضي العراقية معلنة النصر وانتهاء اهداف الحرب، ثم عادوا وفعلوا الشيء نفسه في الحرب الثانية التي احتلوا فيها بغداد.

ما نريد ان نقوله ان القصف الجوي الاسرائيلي الحالي لن يحسم الحرب لصالح حكومة اولمرت، كما ان الاجتياح البري على غرار ما حدث عام 1982 سيكون مكلفاً للغاية، وهذا ما يفسر تردد القيادة العسكرية الاسرائيلية في اللجوء اليه.

حزب الله الذي فاجأ الاسرائيليين مرتين في هذه الحرب، الاولى عندما قصف بارجة بحرية اسرائيلية واغرقها في عرض البحر، وهي المرة الثانية في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي الذي تدمر فيه بارجة منذ تدمير المدمرة ايلات في حرب الاستنزاف عام 1968، اما المفاجأة الثانية فتمثلت في الصواريخ البعيدة المدى التي وصلت الى حيفا وطبريا، وهناك من يؤكد انها تصل الى تل ابيب وبئر السبع في الجنوب.

بمعنى آخر من يملك هذه المفاجآت القادرة على التعامل مع البحرية الاسرائيلية بفاعلية، لا بد أنه يملك اسلحة متطورة لمواجهة الدروع الاسرائيلية، اذا ما حاولت الزحف الى بيروت من خلال جبهة الجنوب، وتمثلت هذه الحقيقة بجلاء بحرق دبابة اسرائيلية بمن فيها، عندما حاولت انقاذ جنود اسرائيليين اثناء عملية حزب الله المفاجئة والناجحة التي اسفرت عن اسر الجنديين الاسرائيليين ومقتل ثمانية آخرين.

اسرائيل قد تنجح في تدمير مقرات حزب الله، واغلاق مطار بيروت، وضرب الجسور وقتل الاطفال والنساء، وتهجير الآلاف من قراهم، ولكنها قطعاً لن تنجح في انهاء المقاومة الاسلامية واضعاف حزب الله. فالحزب ما زال قوياً قادراً على التحدي، وزعيمه السيد حسن نصر الله توعد بمفاجآت جديدة، وقال انه يقود حربا تجسد مشروع امل للأمة، وتقدم فرصة تاريخية لهزيمة اسرائيل، وصموده اكثر من اسبوع، والتفاف اللبنانيين والغالبية الساحقة من العرب والمسلمين حوله هما تأكيد اضافي في هذا الخصوص.

لبنان: حرب التسليم الأخير للمنطقة الى الأسرلة والأمركة

■ الأنظمة العربية المصابة بكل عاهات الخرس والصمم والعمى، وانعدام حس الكرامة والمسؤولية ليست متخاذلة فحسب في الملمات والفواجع، ولا هي في اغلبها متعاونة او متهادنة مع اعتى اعداء العرب والمسلمين منذ فجر تاريخهم، بل انها مع الهجمات الهمجية على فلسطين، ولبنان اخيرا، امست ـ هذه الأنظمة ـ تصنف نفسها في خانة الخيانة الانسانية، وليس الوطنية او القومية فحسب. لقد كفت حتى عن التأشير على الظالمين والطغاة ولو من بعيد، ومن مسافة المراقبة النائية بذات النفس عن اية مشاركة مع قوافل القتلى والجرحى والضحايا، فاذا ما استيقظت ارادة المقاومة مجددا في واحد من اصغر اقطار العرب وهو لبنان، وجربت فعل الشجاعة المقترنة بالاحتراف، والبطولة المحروسة بالوعي، والتصميم المتبصر بكل الاحتمالات والعواقب، كما هو مفترض، فماذا تكون عليه مواقف الفريق الآخر المحترف للامبالاة والموغل في تناسي انسانيته، وليس فقط التزامه الاخلاقي والوطني. قد يعتريه قبل كل شيء الخوف من مبادرة المقاومة، وتحولها الى رافعة جديدة للهمة الشعبية المكبوتة، وانتشالها من مهاوي اليأس والانهزام للزمن، الى الموقع المركزي الفارغ بل المفرغ من ادواره التاريخية، بالنسبة لكل قضية تمس مصير الأمة او على الاقل تتعلق بمستقبل كل مواطن وحريته، بل مجرد وجوده المادي في وطن دائم ومستقل.

كيف تلام الطبقة الحاكمة على تقاعسها وتخاذلها، واصطفافها اراديا او موضوعيا حيثما تريدها دائما في الزمان والمكان المحددين من قبل الحكام الآخرين من ما وراء المحيطات. او ليست هي الحاكمة المستديمة الا لكونها قد انجزت اخطر المهمات المطلوبة والموكولة اليها، الهادفة الى تهجين شعوبها، واخراجها من طبيعتها، وذلك بتدمير فعالياتها، وانتزاع ابسط قدراتها في المبادرة والمعارضة والتغيير. ما تعنيه اية مقاومة حتى ضد العدو، عند حكام هذا الزمن البائس، هي كما لو أنها

مطاع صفدي *

مشروع مقاومة آتية ضدهم، او كامنة بانتظار ساعة الحقيقة. انها ببعض افعالها النموذجية، من صنف اختراق الحدود، واسر جنود العدو، لا تعيد الثقة الى الشعوب بنفسها فحسب، بل انها قد ترد الأمة الخاملة الى موقع الاستنفار الذاتي، والاستعداد والتطلع من جديد الى تلك المواجهة التي غدت شبه مستحيلة، منذ ان منعت عنها حتى في تفكرها. وابتدأ هذا المنع مع قيام الاصطناع الاسرائيلي، بات المنع بمثابة الشرط التاريخي والوجودي للاصطناع، واستكمال مقوماته فلم يكن شرط البقاء للاصطناع الاسرائيلي ابدا مملوكا كله بيد اصحابه، بل بيد ضحاياه كذلك. وفي فلسفة الضحية انها لم تولد في الاصل هكذا، ولن تبقى على هذه الحال الى الابد. لكن جلادها لن يكون شيئا بدونها. فالجلاد طارئ على الضحية وهي الباقية من قبله ومن بعده.

اختراق المقاومة اللبنانية لن يفهم الا كرافعة للصراع من ثنائية نزاع كاد يصير تقليديا بين كيانين الى مستوى قضية لا يمكن الوقوف ازاءها حياديا، لا بالنسبة للعرب والاسلام، ولا بالنسبة لحقانية الانسان، ما فوق كل هوية او عرق او وضع زمكاني محدد. فلقد كشف أسر جنديين كيف ان العدو يتحول الى الجلاد الذي هو آلة للموت والتدمير، الا ان الطبقة الحاكمة (العربية) وحدها هي التي تلوم الضحية. بل لن يمكنها الا ان تفعل ذلك. هنالك انتماء مشترك بينهما. اذ وجد الجلادون الصغار زعيمهم الجلاد الاكبر. استقالوا حتى من لغة الشعارات اللفظية التي طالما تلعثمت السنتهم وهي تنطق بها قسرا عنها. مزقوا اقنعة التضامن الكاذب الذي لم يرعوا حرمة لمعانيه ولو لمرة واحدة في المناسبة الحاسمة. اسفروا عن وجوههم الاصلية. اصبحوا فجأة من دعاة العقلانية والوسطية والاعتدال، وهم الذين أسسوا اشد اشكال التطرف في تاريخ المذهبيات الاسلامية، ووظفوه داخليا في مأسسة القمع والفساد، وخارجيا في عزل المجتمع عن ثقافة العصر، واحتكار الدور الاول في تزييف النهضة العربية، واحباط مشاريعها الوحدوية والتقدمية واحدا تلو الآخر، وابدالها بتحصين القطريات، وفتح اسوار المنطقة امام موجات الغزو العسكري، واخيرا هذا الجهر الصارخ بالتحالف العلني ليس مع الأمركة فحسب، بل مع وليدتها الاقليمية: الاسرلة.

ان التمذهب الديني السياسوي لا يمكنه ان ينمو ويؤثر الا بممارسة العنف المؤدلج في اقصى تطرفاته الجدية سواء في القيم التي يدعيها، والممارسات المصنمة التي يدعو اليها ولقد أدخل العرب والاسلام في حقبة هذا التمذهب، وتوزعت تياراته ومسمياته على اطراف متقاتلة فيما بينها حول نوعيات التعصب نفسه، وان رفعت عناوين متغايرة فوق رؤوسها. الا يمكن القول انها هي حقبة الوهابية/الخمينية. تلك الكماشة الصارمة الآخذة بعقول الاجيال بين فكيها. الأمر الذي يدفع بالسياسات الاصلية الى ابعد خطوطها الخلفية. انها الظاهرة الاساسية الدالة على استعادة الانحطاط لعدته الايديولوجية من وراء العصور. فالمذهبي، وليس السياسي، هو المسك بعصا القيادة، وهو المخطط الرائد ومبتكر الاستراتيجيات. ومع ذلك اذا لم تكن السياسة هي كل شيء في اصلها، فهي موجودة (في) كل شيء على الاقل. بمعنى ان المذهبي لا يمكنه أن يتابع فراره من السياسي. انه في نهاية المطاف هو الذي يتوقف عليه ـ أي السياسي ـ التدبر مع اشكاليات الواقع عندما تحل لحظات المواجهة المحتومة ما بين الصنمي والاصل المنحوت هو عنه.

والحرب هي لحظة الحقيقة التي تفتح ساحات الواقع امام المواجهات مع كل الادلجات المستمدة منه اسميا، والمشوهة له فعليا. ولقد اصطبغت الحياة العربية اخيرا بالاسود الفاحم والاحمر القاني، لم تعد تنتظر حربا او تخرج من حرب. بل هي والحرب رديفان لبعضهما. لا يفهم او يقبل احدهما بدون الآخر. لبنان الجميل بعد فلسطين والعراق ومعهما يستأنف ايقاع الموت كل عشر سنين، اكثر او اقل ـ آلة الموت والتدمير الكبرى امريكا دمرت العراق، واختها الصغرى اسرائيل تشرع في تدمير لبنان مجددا. والتمذهب العربي والايراني يشكلان فكي الكماشة من حوله وداخله. كل منهما له طريقه الخاص في لبنان. وطريقة تحالفه مع العدو المشترك او تعارضه معه. مرة اخرى لا يصير لبنان كالعادة ساحة لحروب الآخرين على ارضه فحسب، بل يكاد الدم اللبناني، تغمط حقوقه كاملة، لولا ان «قواعد اللعبة» يصيبها التعديل من الضد الى الضد مع دورة العنف الصهيوني وهمجيته الخبيثة، الراهنة. اذ ان لبنان المقاوم سوف يحرم العدوان الاسرائيلي، وفريقه الامريكي العربي، من التمتع بأية ثمرات يقطفها لحسابه في نهاية الجحيم الذي اوقده.

ربما كان من المدهش حقاً ان آلة الموت والتدمير لا تستطيع هذه المرة ان تفرض الاستسلام على الضحية، وانما على العكس ان تكسبها مناعة جديدة ضد الموت. وتلك هي الحالة الكارثية حقا التي تخشاها آلة الموت. عندما لا تنفع في القتل والابادة، بل في احياء موات الضحية نفسها. اما النظام العربي الذي ينتظر على احر من الجمر ان تُكلل مسيرته الانهزامية بالاجهاز النهائي على عصر النهضة بمفهومها الاستقلالي والسيادي، وتسليم المنطقة جملة وتفصيلا الى اسياده، ان يجعله اسيادا كذلك على شعوبه، وبرفقة رموزه الكبار او بدونهم، هذا النظام يتابع اصراره على تشويه ثورة المقاومة اللبنانية، بحصرها وحصارها في دائرة الصراع المذهبي. في الوقت الذي يعتبر الرأي العام العربي والاسلامي الحرّ ان افشال آلة الموت والتدمير في لبنان، وحرمانها من قطف ثمارها العليا، سيكون المنعطف التاريخي والأول من نوعه، نحو تغيير قواعد اللعبة حقاً في مسيرة الصراع العربي ـ الصهيوني ـ الامريكي، ان التغيير الذي قد يفتح كوة للامكان والاقتدار الذاتي في جدار الاستحالة والاستعصاء شبه الميتافيزيقي والذي تكاد تخر انبل وعود النهضة بالحرية والعدالة تحت صخوره الصماء.

اليس من المحزن، بل المفرح في المآل الاخير، انه في الوقت الذي تنجح فيه مقاومة اصغر شعب عربي في كسر كماشة المذهبية، واحياء انسانية النهضة العربية بانقاذ كرامتها من مستنقع الانهزام والاستسلام، يتقهقر النظام الحاكم الى اسوأ مصائد المذهبيات الخبيثة، واعلان انضمامه النهائي الى معسكر الجلادين، وبحجة الانتصار لمذهب على آخر. ذلك هو المغزى الاعمق لاول حرب شعبية وانسانية شاملة تكون مقتدرة على مجابهة طواغيت العصر، بحرمانها على الاقل من صلف الانتصارات الرخيصة وحينما يغدو النصر معادلا تماما لجبروتها او انعدامه في حال لم تمت الضحية، والجلاد لم ينتصر.

* مفكر عربي مقيم في باريس

السعودية وبئر النفط الفارغة

د. مضاوي الرشيد *

■ العدوان الاسرائيلي المزدوج على غزة ولبنان يفتح ملف النفط العربي وآباره المليئة ببراميل جاهزة للتصدير والمفرغة من المعنى. اذ ان هذا النفط قد تحول الى نقمة بيد شرذمة حاكمة تشتري به الولاء والصمت المطبق من مجتمعات انبهرت بتقنية العصر ورفاهية التكنولوجيا التي استطاعت ان تحصل عليها دون جهد كبير بل بقوة شرائية مرتفعة وفرتها براميل نفط بسعر تجاوز السبعين دولارا.

اكثر من أي وقت مضى يبدو النظام السعودي مشلولا فاقدا لارادته تحت ظل مجموعة هرمة تجاوزها الزمن. في الماضي استهلك النظام السعودي منظومة الدفاع عن الاسلام والمسلمين بحكم كونه النظام المحتل للأراضي المقدسة، واليوم يعرض نفسه على انه صقر العروبة المدنسة في غزة ولبنان على خلفية الشعار الفارغ نجده مكبل اليدين يجلس على آبار نفطه ساهيا عن المتغيرات التي طرأت على الساحة العربية او متناسيا للخطوط العريضة التي بدأت معالمها تتضح على خارطة المنطقة.

عندما يحزن النظام السعودي على لبنان وشعبه ويطل علينا بمبادرات تصور وكأنها حلول سحرية فهو يحزن على نفوذه وتسلطه على بلد لم يملك يوما ما القدرة على الدفاع عن نفسه على مستوى النظام وانما استطاع ان يصمد ويقاوم الاحتلال والعدوان بقدرة القوى الوطنية التي ظلت المحور الرئيسي لصد العدوان على ارضه وتحريرها من اسرائيل وهجماتها الشرسة على قراه ومرافقه الحيوية. لم تعتمد هذه القوى على نفط النظام السعودي يوما ما بل كانت دوما تضرب من قبل اصحاب هذا النفط وأزلامهم على الساحة اللبنانية. هؤلاء كانوا يفضلون ان يبايعوا المليك السعودي على مبايعة من تصدى للعدوان الاسرائيلي على الشعب اللبناني بكافة فئاته وطوائفه وتياراته السياسية. النفط السعودي استغل أحسن استغلال على الساحة اللبنانية ليس لمقاومة العدوان وانما لضرب الثقافة العربية والاسلامية. حول نفط السعودية لبنان الى مرتع للملذات التي يصعب على السعودي ان يروي عطشها في بلاد الاسلام علنا لذلك هي تهاجر الى لبنان عند كل موسم لتفجر طاقاتها المكبوتة وشذوذها المحرم داخليا. اسرائيل اليوم تفرض حصارا على لبنان وعلى الهجرة الموسمية الصيفية التي بدأت تحط رحالها في البلد. الجميع يأسف لضرب الموسم السياحي اللبناني الذي يأتي بزير النفط المفرغ من كل مضمون الى شواطئ المتوسط هربا من التقييد على الحريات في الحيز العام فقط رغم ان الجميع يعرف تماما كيف ان هذه الحريات تتفجر في الخفاء في الداخل السعودي.

وبينما اسرائيل تقوم بعدوانها الحالي على لبنان متسلحة بأكثر ادوات القتل فتكا نراها ايضا تتسلح باجماع عام من قبل شعبها والذي لا يشكك حتى هذه اللحظة بمشروع التدمير الحالي والذي تقوم به الآلة العسكرية الاسرائيلية. يقف الاسرائيليون صفا واحدا خلف حكومتهم وجنرالاتها بينما الاصوات المتخاذلة على الساحة اللبنانية ومن خلفها من آبار نفط فارغة تفضل ان تحمل «حزب الله» مسؤولية العدوان الاسرائيلي وتضع اللوم عليه وعلى صواريخه التي سقضي على الموسم السياحي الحالي وستدمر مرافئ بيروت ومخارجها وبنيتها التحتية. سيهرب السعودي من بيروت وبحمدون وعاليه وبرمانا وربما سينتقل الى باريس ولندن سيحمل دولاراته التي حتى هذه اللحظة لم تشتر له سوى السمعة السيئة وينتقل الى منتجع سياحي آخر. سيلعن اسرائيل التي قوضت اجازته الصيفية ولكنه سيدين الضحية بدلا من الجلاد.

أما في غزة فالوضع يختلف تماما لم تكن غزة يوما ما منتجعا سياحيا ولا مزارا يحج اليه النفط السعودي في رحلات موسمية. حولت اسرائيل غزة الى مخيم كبير وبؤرة تفشى فيها الفقر ولكنها ظلت صامدة.

تتصدر السعودية اليوم ليس خدمة الاسلام والعرب كما عودتنا الدعاية السعودية خلال نصف قرن بل هي تتصدر النظام العربي المهزوم من محيطه الى خليجه.

افرغت القيادة السعودية النفط من كونه قوة اقتصادية باستطاعتها ان تتحول الى قوة سياسية. فرغم مدخول النفط المرتفع السنوي والتراكمي لم تنتقل القيادة بهذا النفط من كونه سلعة وثروة وطنية الى كونه سلاحا فعّالا لفرض الارادة الشعبية. مع الأسف خلال نصف قرن خدم النفط المصالح الضيقة للزمرة الحاكمة ومشاريعها الشخصية ومؤامراتها الكثيرة ولم يوفر أي بنية تحتية للاستقلال الاقتصادي والسياسي. بل على العكس تحول البئر النفطي الى جسر يمد القوات الغازية بامدادات وفيرة تضمد مصالحه هو على حساب الآخرين وحساب المصلحة العامة والتي من المفروض ان تتحقق خاصة بعد ان رفع النظام السعودي شعار الدفاع عن الاسلام والعرب.

فشل النفط السعودي فشلا ذريعا حتى في تأمين الأمن القومي الداخلي والخارجي. وما زال النظام السعودي دوما يبحث عن شاويش تارة يجده في باكستان وتارة يجده في اجهزة المخابرات الفرنسية والبريطانية والامريكية وتارة يبحث عنه في محيطه العربي. استطاع النفط ان يشتري للنظام السعودي طائرات فخمة مدنية وعسكرية تسخر الاولى في نقل الامراء خلال رحلاتهم الصيفية من عاصمة الى اخرى اما الثانية أي العسكرية فهي للاستعراض العسكري فقط لا غير. يشتري النظام السعودي هذه الطائرات العسكرية بنهم قد يتساءل البعض عن جدواه في نظام يعرف الجميع مدى تخلفه في الميدان العسكري والذي ثبت منذ التسعينات وبالأخص خلال حرب الخليج. يشتري النظام السعودي السلاح من اجل اعادة توزيع دولارات النفط على فئة صغيرة من الامراء. الصفقات التي تعقد في العواصم الاوروبية مع شركات الاسلحة وسيلة فعالة لتوزيع الدخل القومي بين زمرة من الامراء الذين يتهافتون على هذه العقود. اليوم لا يعرف الشعب هل مسؤولية شراء هذه الاسلحة تقع على اكتاف وزير الدفاع ولي العهد أم الملك أم حلقة اكبر من الامراء الصغار والكبار والذين يجدون فيها وسيلة عصرية مبتكرة للاستئثار بحصة من دولارات النفط. وصل الجميع الى نتيجة ثابتة ألا وهي ان هذه الصفقات هي من اكثر الوسائل فعالية لاعادة التوازن الى امراء العائلة الحاكمة خاصة بعد ان كثر فيهم التصدع والتشرذم تحت ضغط توزيع الكعكة الكبيرة والكل يعلم ان لا أمل في طائرات النظام ان توقف طلعات جوية لسلاح الجو الاسرائيلي على مكة ذاتها فما بالكم بلبنان وغزة. عند أي خطر يتعرض له النظام سيلجأ هذا الاخير الى شاويش جديد يفرض نفسه على الساحة تستطيع السعودية ان تجنده لحروبها القادمة دفاعا عن النظام واعلامه وليس دفاعا عن أي ارض عربية تستباح او فتاة تغتصب او أب يقتل.

يتقوقع النظام السعودي داخل بئر نفط فارغ ومهما ارتفعت الاسعار وازداد الطلب تحت ضغط الجبهات العربية المشتعلة في غزة ولبنان والعراق لن يحلم المواطن في الداخل السعودي ان يفتخر يوما بانجاز تاريخي ينتشل هذه المنطقة من هيمنة طائرات القتل الامريكية والاسرائيلية ولن يستطيع ان يسطر في ارشيفه كيف تم نقل بئر النفط من كونه قوة اقتصادية الى سلاح سياسي يحول الجزيرة العربية من موقعها الحالي كمنطقة تحت الهيمنة الخارجية الواضحة والصريحة الى منطقة مستقلة تفرض نفسها على الخريطة العربية والعالمية. وبينما ايران ستظل تعتمد على نفطها وتقنيتها وطاقتها الداخلية لفرض نفسها كمحور اقتصادي سياسي مستقل في منطقة الخليج سيظل النفط السعودي مشلولا تحت هيمنة «الجيرونطقراطية» السعودية الهرمة فلا يسخر هذا النفط إلاّ لشراء السلع الاستهلاكية والولاء وحبك المؤامرات ضد كل من يعترض على مسيرة التطور الحضاري المزعوم وان علق احدهم الأمل على جيل قادم من الزعامات السعودية الشابة الجديدة في انتشال البلد من حالة التقوقع في بئر النفط الفارغة فهو يعلل النفس بأحلام اليقظة اذ ان الجيل الجديد اثبت ان مهمته في الحياة هي افراغ البئر قبل فوات الاوان وبسرعة بهلوانية قبل فتح الفصل الجديد في الكتاب السعودي القادم والذي ربما ستكتب فصوله بحبر يختلف اختلافا تماما عما سبقه.

الصمت السعودي تجاه القضايا الساخنة التي تتفجر يوميا في غزة والعراق ولبنان ان دلّ على شيء فهو يدل على الوضع المزري التي وصلته القيادة السعودية والتي لم يبق لها سوى شعارات الاسلام والعروبة ومؤخرا مؤشر الأسهم والذي هو ايضا في طريقه الى التلاشي تحت ضغط الفساد المالي والاداري المستشري في طول البلاد وعرضها.

بعد هذا العرض يتضح لنا ان قيادات المقاومة الفلسطينية والوطنية في كل من لبنان وفلسطين تهدر وقتها عندما تسخر الوقت المتاح لها على الفضائيات العربية لنداء النظام العربي المهزوم تحت ضغط «شعب الله المختار». الانظمة والتي باستطاعتها ان تسخر قدراتها الاقتصادية في خدمة القضايا العربية وتصد العدوان قررت منذ زمن طويل ان تهاجر وتتقوقع في بئر نفط فارغة افرغته هي من قدرته على انتشال المنطقة من الهيمنة الخارجية والاستباحة المستمرة لشعبها وبناتها وشيوخها وطاقتها. لن تخرج المنطقة من الجحيم الاسرائيلي إلا عندما تمتلئ البئر ليس بالنفط بل بالارادة ويفرغ من العمالة.

* كاتبة واكاديمية من الجزيرة العربية

وهم إسرائيل المتبدد

د. فيصل القاسم

■ لا أبالغ إذا قلت إن هناك نقطتي تحول في الصراع العربي الإسرائيلي، الأولى: كانت حرب تشرين التحريرية التي أبلى فيها الجنديان السوري والمصري بلاء أكثر من حسن، وهزّا هيبة الجيش الإسرائيلي الذي كان يتبجح بأنه لا يُقهر. أما الثانية، ومن دون أدنى شك، فهما العمليتان النوعيتان اللتان نفذتهما المقاومتان الفلسطينية واللبنانية بأسر جنود إسرائيليين من مواقع عسكرية محصنة.

قد تبدو العمليتان من الناحية العددية ليستا ذات أثر كبير على الجيش الإسرائيلي. لكن المضاعفات والتطورات التي نتجت عنهما تنطوي على الكثير من المؤشرات والمعطيات. واعتقد أن هناك مثلاً صينياً ينطبق على إسرائيل قبل وبعد العمليتين. يقول المثل: «لا تتمسكن كثيراً، فقد تصبح مسكيناً». بعبارة أخرى، فإن إسرائيل كانت تصور نفسها عالمياً من خلال وسائل الإعلام الصهيونية بأنها عبارة عن حمل وديع مسكين في غابة من الوحوش العربية الكاسرة. وهي ما لبثت تستعطف الغرب باعتبارها، كما وصفها إسحق شامير رئيس الوزراء الإسرائيلي أثناء مؤتمر مدريد، مجرد واحة وادعة صغيرة في خضم عالم عربي هائج متوحش ومترامي الأطراف.

وقد جاءت المعركة الأخيرة مع حزب الله لتظهر أن هذا الوحش الإسرائيلي الكاسر الذي كان دائماً يتمسكن ويتصنّع المسالمة والضعف والوداعة، بينما كان يمارس أبشع أنواع الهمجية والوحشية، أصبح قاب قوسين أو أدنى، مسكيناً فعلاً، أي أنه كان له ما تظاهر به. ولعل أقوى مؤشر على تضعضع القوة الإسرائيلية وتخبطها واهتزازها وخوفها من التصدع، ربما لأول مرة بعد حرب تشرين، هو تصرفات قادتها الجنونية والمتخبطة. فقد أدلى رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود ألمرت قبل أيام بتصريح غريب يعكس حالته النفسية قال فيه إنه سيتصرف بطريقة أن «رب البيت قد جن». وشهد شاهد من أهله، فلو استمعنا إلى تصريحات الوزراء والمسؤولين العسكريين الإسرائيليين العنيفة والصارخة على مدى الأيام الماضية لاشتممنا منها رائحة القلق والخوف والجنون أكثر منها رائحة القوة والبأس والثقة.

وقد تعلمنا من علماء النفس أن الشخص الذي يطلق كلاماً كبيراً قد يفعل أفعالاً صغيرة. وغالباً ما تكون العنجهية الكلامية مؤشراً على تضعضع داخلي، فيغطي من خلالها المتضعضع اهتزازه وقلقه. أما الأقوياء فعلاً، فيتكلمون قليلاً ويفعلون كثيراً.

لقد عودنا القادة الإسرائيليون على مدى تاريخ الصراع العربي ـ الإسرائيلي على الاقتصاد في التصريحات والتخفيف من العبارات النارية على مبدأ «السيف أصدق أنباء من الكتب». بعبارة أخرى، فقد كانوا يتركون أفعالهم العسكرية تعبر عن قوتهم وبأسهم، مكتفين بما قل ودل من الكلام الهادئ والخافت، أي على عكس العرب الذين كانوا دائماً يقولون كلاماً كبيراً ويفعلون أفعالاً مضحكة، على مبدأ تمخض الجبل فولد فأراً. لكن الوضع بدأ يتغير تماماً في الآونة الأخيرة، وتحديداً بعد المعركة مع حزب الله. فقد استخدم رئيس الوزراء الإسرائيلي عبارات من قاموس العنتريات العربي، وتبعه وزير دفاعه الذي راح يهدد بطريقة جنونية: «سنحطم حزب الله، سنكسر إرادته»، إلى ما هنالك من العبارات الطنانة. لقد امتلأت التصريحات الإسرائيلية بوابل من الكلمات العنيفة جداً، وكأنهم بذلك يعوضون عن وضعهم النفسي المهتز. وهناك مثل صيني آخر ربما ينطبق على أولئك الذين يُخفون ضعفهم بالصوت العالي. يقول: «الكلاب التي تنبح كثيراً قلما تعض، وإن عضت فمن شدة الخوف».

لكن لا أريد أن نفهم من المثل أعلاه أن الإسرائيليين أصبحوا لا حول ولا قوة لهم عسكرياً، بل ما زالوا مسلحين بأعتى ما توصلت إليه التكنولوجيا من أسلحة. لكن الطريقة التي يستخدمون بها تلك التكنولوجيا وتلك الأسلحة الرهيبة لا تنم عن قوة، بقدر ما تنم عن هوس وخوف واهتزاز نفسي، خاصة وأنهم اعترفوا بذلك ضمنياً من خلال إطلاقهم عبارة «الوهم المتبدد» على عمليتهم ضد المقاومة الفلسطينية، أي أن وهم القوة الذي كان يراودهم بدأ يتبدد فعلاً. فالذي يرد على عمليات عسكرية فلسطينية ولبنانية بالضرب خبط عشواء واستهداف المدنيين من اطفال وشيوخ ونساء وتدمير محطات المياه والكهرباء والبنى التحتية والمطارات المدنية والقنوات التلفزيونية ليس بطلاً بالمعنى العسكري، بل جبانا ورعديدا من الطراز الأول.

واعتقد أن أطباء النفس لا بد وأن يفسروا التصرفات العسكرية الإسرائيلية الأخيرة في لبنان وفلسطين على أنها تصرفات جنونية مرعوبة أكثر منها استراتيجية، فالقوى العسكرية الواثقة من نفسها لا تتصرف بتلك الطريقة الوحشية الهوجاء، ولا تلجأ إلى سياسة «ياربي تجي بعينو».

ولا أجد مثيلاً للتصرفات الإسرائيلية سوى تصرفات الجنود الأمريكيين في العراق، حيث يبدأون بإطلاق النار حتى على العصافير والحساسين الجميلة التي تطير فوق ثكناتهم، ناهيك عن فتح النار على كل من يقترب منهم حتى على بعد كيلومترات. وهذا، بالمفهوم العام، مؤشر على الخوف والقلق أكثر منه مؤشر على القوة. وكان أحد القادة العسكريين الأمريكيين في العراق قد وصف وضع جنوده هناك بأنهم أشبه بـ«قطيع من السمك في حوض مائي».

وبينما اتسمت تصريحات المسؤولين الإسرائيليين بالعنجهية والعنترية، جاءت تصريحات الأمين العام لحزب الله هادئة ومتزنة وواثقة، فلم يلجأ إلى العبارات الطنانة، ولم يهدد بطريقة صارخة، بل اكتفى بإشارات ذكية ولفتات مؤثرة. لا عجب أن الكثير من الإسرائيليين قالوا لوسائل الإعلام أكثر من مرة إنهم يثقون بكلام حسن نصر الله أكثر مما يثقون بكلام القادة الإسرائيليين. وهذا دليل آخر على اهتزاز صورة القيادة الإسرائيلية حتى في عيون شعبها. أي أن الآية قد انقلبت.

لقد فضح حزب الله أسطورة إسرائيل وأظهر هشاشتها الجغرافية، خاصة بعد وصول صواريخه إلى العمق الإسرائيلي في مدينة حيفا وغيرها، لا سيما وأن الإسرائيليين يتجمعون في منطقة صغيرة جداً جغرافياً، لو عرف العرب كيف يستهدفونها لجعلوا قاطنيها كالأرانب المذعورة على الدوام، كما يؤكد مهندسو المقاومة. وليته بذلك يوضح للمفتونين بالقوة الإسرائيلية كيف يمكن أن تنال من ذلك الكيان، وتعرّيه عسكرياً وسكانياً، رغم كل سطوته العسكرية الرهيبة، وتجعل قادته، بقليل من القوة والإرادة، ينطون كالقرود على شاشات التلفزيون، ناهيك عن جعل أوهامهم تتبدد كسحاب الصيف.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان
رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط).
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364